طرف ونوادر
من عيون التراث العربي
إعداد : علي مولا

طرف ونوادر من عيون التراث العربي

المنتخب من بطون كتب التراث

إعداد : علي مولا

من بستان التراث العربي الذاخر ..

وهو من أهم مراحل التراث الأنساني ..

هذه المختارات

حكايات الأديب العربي عن البخلاء وأدبهم، كما بلغت بعرف بأدب البخلاء ..

.....الضحك حق العلاج المجاني الوحيد

اضحك ولا تبخل على نفسك ..مع نوادر

البخلاء

أمر بخيل أولاده بشراء لحم وطبخه، ففعلوا، فأكله

كله ولم يبق إلا عظمة، وعيون أولاده ترمقه. فقال: ما أعطي

أحداً منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها.
فقال الأكبر: أمشمشها وأمصها، حتى لا أدع للذر فيها مقيلاً.
قال: لست بصاحبها.
فقال الأوسط: ألوكها وألحسها حتى لا يدري أحد لعام هي أم لعامين.
قال: لست بصاحبها.
فقال الأصغر: أمصها ثم أدقها وأسفها سفًّا.
قال: أنت صاحبها زادك الله معرفة وحزمًا.

أبو الأسود

وكان أبو الأسود معروفاً بالبخل، وكان يقول: لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنا أسوأ حالاً منهم. وقال لبنيه: لا تجاودوا الله عز وجل فإنه أجود وأمجد، ولو شاء أو يوسع على الناس كلهم لفعل، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هزالاً.

أعرابية

قالت أعرابية: لزوجها الشحيح: والله ما يقيم الفأر في دارك إلا لحب الوطن!

عبيد الله

قيل لبخيل: "قد رضيت بأن يقال: عبد الله بخيل.

قال: لا أعدمني الله هذا الاسم.

قيل: كيف؟

قال: لا يقال فلان بخيل إلا وهو ذو مال، فسلم إلي المال، وادعني بأي اسم شئت!".

هجاء الفضل

وهذا أبو النواس يهجو الفضل أحد البخلاء في عصره قائلاً:

رأيت الفضلَ مكتئبًا.. يُناغي الخبز والسّمكا

فأسبل دمعة لما..رآني قادمًا وبكى..

فلما أنْ حلفتُ له..بأنّي صائمٌ ضحِكا

ومن الأشعار الجميلة التي قيلت في هجاء البخلاء الصائمين قول الشاعر:

أتيت عمرًا سحرًا..فقال: إني صائمٌ..

فقلت :آتيك غدًا . فقال: صَومي دائمٌ

ومن طرائفهم أيضاً:

دخل شاعر على رجل بخيل فظهر عليه القلق والاضطراب ، وقال في

نفسه إن لم يُطعم الشاعر

من طعامه فإنه سيهجوه ، غير أن الشاعر انتبه إلى ما أصاب الرجل

فترفّق بحاله ولم يطعم .. من طعامه ، ومضى عنه وهو يقول :

تغيّر إذ دخَلتُ عليه حتى .. .. فطِنتُ .. فقلتُ في عرْض المقالْ

عليَّ اليوم نذرٌ من صيام .. . . فاشرقَ وجهُه مثل الهلالْ

قصة أحمل البصرة من المسجديين

قال أصحابنا منة المسجديين: اجتمع ناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة، والتنمية للمال، من أصحاب الجمع والمنع. وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب، وكان الذي يجمع على التناصر. وكانوا إذا التقوا في حلقهم تذاكروا هذا الباب، وتطارحوة وتدارسوه.

فقال شيخ منهم: ماء بئرنا – كما قد علمتم – ملح أجاج لا يقربه الحمار، ولا تسيغه الإبل، وتموت عليه النخل. والنهر منا بعيد. وفي تكلف العذب علينا مؤنة. فكنا نمزج منه للحمار، فاعتل عنه، وانتفض علينا من أجله. فصرنا بعد ذلك نسقيه العذب صرفاً. وكنت أنا والنعجة كثيراً ما نغتسل بالعذب، مخافة أن يعتري جلودنا منه مثل ما اعترى جوف الحمار. فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلاً.

ثم انفتح لي باب من الإصلاح، فعمدت إلى ذلك المتوضأ، فجعلت في ناحية منه حفرة، وصهرجتها وملستها، حتى صارت كأنها صخرة منقورة. وصوبت إليها المسيل. فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافياً، لم يخالطه شيء. والحمار أيضاً لا تقزز له منه. وليس علينا حرج في سقيه منه. وما علمنا أن كتاباً حرمه، ولا سنة نهت عنه. فربحنا هذه منذ أيام، وأسقطنا مؤنة عن النفس والمال، مال القوم.

وهـــــــــــــــــذا بتوفيـــــــــــــــــــــق الله ومنـــــــــــــــــــــه.

فأقبل عليهم شيخ فقال: هل شعرتم بموت مريم الصناع؟ فإنها كانـــت مـــن ذوات الاقتصاد، وصاحبة إصلاح. قالوا: فحدثنا عنها. قال: نوادرها كثيـــرة، وحـــديثها طويل. ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية. قالوا: وما هي؟ قال: زوجت ابنتهـــا، وهي بنت اثنتي عشرة، فحلتها الذهب والفضة، وكستها المروى والوشـــي والقـــز والخز، وعلقت المعصفر، ودقت الطيب، وعظمت أمرها من قدرها عند الأحمـــاء. فقال لها زوجها: أنى هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله. قال: دعي عنك الجملة، وهاتي التفسير. والله ما كنت ذات مال قديماً، ولا ورثته حديثاً. وما أنت بخائنة في نفسك، ولا في مال بعلك. إلا أن تكوني قد وقعت على كنز! وكيف دار الأمر فقــد أســـــــــقطت عنــــــــــي مؤنــــــــــة، وكفيتنــــــــــي هــــــــــذه النائبــــــــــة.

قالت: اعلم أني منذ يوم ولدتها إلى أن زوجتها، كنت أرفع من دقيق كـــل عجنـــة حفنة. وكنا – كما قد علمت – نخبز في كل يوم مرة. فإذا اجتمع من ذلك مكـــوك بعتـــه.

قال زوجها: ثبت الله رأيك وأرشدك! ولقد أسعد الله من كنت له سكناً، وبارك لمـــن جعلت له إلفاً! ولهذا وشبهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من الـــذود إلـــى الذود إبل. وإني لأرجو أن يخرج ولدك على عرقـــك الصـــالح، وعلـــى مـــذهبك المحمـــود.

وما فرحي بهذا منك بأشد من فرحي بما يثبت الله بك في عقبي من هذه الطريقـــة المرضـــية.

فنهض القوم بأجمعهم إلى جنازتها، وصلوا عليها. ثم انكفؤا إلى زوجها، فعزوه على مصيبته، وشاركوه في حزنه.
ثم اندفع شيخ منهم فقال: يا قوم، لا تحقروا صغار الأمور، فإن كل كبير صغير.

ومتى شاء الله أن يعظم صغيراً عظمه، وأن يكثر قليلاً كثره. وهل بيوت الأموال إلا درهم إلى درهم؟ وهم الذهب إلا قيراط إلى جنب قيراط؟ وليس كذلك رمل عالج وماء البحر؟ وهل اجتمعت أموال بيوت إلا بدرهم من هاهنا ودرهم من هاهنا؟ فقد رأيت صاحب سفط قد اعتقد مائة جريب في أرض العرب، ولربما رأيته يبيع الفلفل بقيراط، الحمص بقيراط، فأعلم أنه لم يربح في ذلك الفلفل إلا الحبة والحبتين من خشب الفلفل. فلم يزل يجمع من الصغار الكبار، حتى اجتمع ما اشترى به مائة جريب!.

ثم قال: اشتكيت أياماً صدري من سعال كان أصابني، فأمرني قوم بالفانيذ السكري. وأشار على آخرون بالحريرة تتخذ من النشاستج والسكر ودهن اللوز، وأشباه ذلك. فاستثقلت المؤنة، وكرهت الكلفة، ورجوت العافية. فبينا أنا أدافع الأيام، إذ قال لي بعض الموفقين: عليك بماء النخالة فاحسه حاراً. فحسوت، فإذا هو طيب جداً، وإذا هو يعصم: فما جعت ولا اشتهيت الغذاء في ذلك اليوم إلى الظهر. ثم ما فرعت من غدائي وغسل يدي حتى قاربت العصر. فلما قرب وقت غدائي من وقت عشائي طويت العشاء، وعرفت قصدي.

فقلت للعجوز: لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة؟ فإن ماءها جلاء للصدر، وقوتها غذاء وعصمة؛ ثم تجففين بعد النخالة، فتعود كما كانت. فتبيعين إذا الجميع بمثل الثمن الأول، ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين! قالت: أرجو أن يكون الله قد جمع بهذا السعال مصالح كثيرة، لما فتح الله لك بهذه النخالة التي فيها صلاح بدنك معاشك! وما أشك أن تلك المشهورة كانت من التوفيق! قال القوم: صدقت، مثل هذا لا يكتسب بالرأي، ولا يكون إلا سماويا.! ثم أقبل عليهم شيخ فقال: كنا نلقي من الحراق والقداحة جهداً، لأن الحجارة كانت إذا انكسرت حروفها واستدارت، كلت ولم تقدح قدح خير، وأصلدت فلم تور، وربما أعجلنا المطر والوكف. وقد كان الحجر أيضاً يأخذ من حروف القداحة، حتى يدعها كالقوس. فكنت أشتري المرقشيتا بالغلاء، والقداحة الغليظة بالثمن الموجع.

وكان علينا أيضاً في صنعة الحراق وفي معالجة القطنة مؤنة، وله ريح كريهة. والحراق لا يجيء من الحرق المصبوغة، ولا من الحرق الوسخة، ولا من الكتان، ولا من الخلقان.

فكنا نشتريه بأغلى الثمن. فتذاكرنا منذ أيام أهل البدو والأعراب، وقدحهم النار بالمرخ والعفار.فزعم لنا صديقنا الثوري وهو – ما علمت – أحد المرشدين، أن عراجين الأعذاق تنوب عن ذلك أجمع. وعلمني كيف تعالج. ونحن نؤتى بها من أرضنا بلا كلفة. فالخادم اليوم لا تقدح ولا توري إلا بالعرجون.

قال القوم: قد مرت بنا اليوم فوائد كثيرة. ولهذا قال الأول: مذاكرة الرجال تلقح الألباب. ثم اندفع شيخ منهم فقال: لم أرى في وضع الأمور في مواضعها، وفي توفيتها غاية حقوقها، كمعاذة العنبرية. قالوا: وما شان معاذة هذه؟ قال: أهدى إليها العام ابن عم لها أضحية. فرأيتها كئيبة حزينة، مفكرة مطرقة. فقلت لها: مالك يا معاذة؟ قالت: أنا امرأة أرملة، وليس لي قيم. ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي. وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه. وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة. ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها. وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا غيرها شيئاً لا منفعة فيه. ولكن المرء يعجز لا محالة. ولست أخاف من تضييع القليل، إلا أنه يجر تضييع الكثير.

أما القرن فالوجه فيه معروف، وهو أن يجعل كالخطاف، ويسمر في جذع من جذوع السقف، فيعلق عليه الزبل والكيران، وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير، وبنات وردان والحيات، وغير ذلك. وأما المصران فإنه لأوتار المندفة. وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة. وأما قحف الرأس واللحيان وسائر العظام، فسبيله أن يكسر بعد أن يعرق، ثم يطبخ. فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة، ولغير ذلك. ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها. فلم يرى الناس وقوداً قط أصفى ولا أحسن لهباً منها. وإذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر، لقلة ما يخالطها من الدخان. وأما الإهاب فالجلد نفسه حراب. وللصوف وجوه لا تدفع. وأما الفرث والبعر فحطب إذا جف عجيب.

ثم قالت: بقي الآن علينا الانتفاع بالدم. وقد علمت أن الله عز وجل لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه، وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها. وإن أنا لم أقع على علم ذلك، حتى يوضع موضع الانتفاع به، صار كية في قلبي، وقدي في عيني، وهما لا يزال يعاودني.

فلم ألبث أن رأيتها قد تطلقت وتبسمت. فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم. قالت: أجل، ذكرت أن عندي قدوراً شامية جدداً. وقد زعموا أنه ليس شيء أدبغ ولا أزيد في قوتها، من التلطيخ بالدم الحار الدسم. وقد استرحت الآن، إذ وقع كل شيء موقعه! قال: ثم لقيتها بعد ستة أشهر، فقلت لها: كيف كان قديد تلك الشاة؟ قالت: بأبي أنت! لم يجيء وقت القديد بعد! لنا في الشحم والأليه والجنوب والعظم المعروق وغير ذلك معاش! ولكل شيء إبان! فقبض صاحب الحمار والماء العذب قبضة من حصى، ثم ضرب بها الأرض. ثم قال: لا تعلم أنك من المسرفين، حتى تسمع بأخبار الصالحين!.

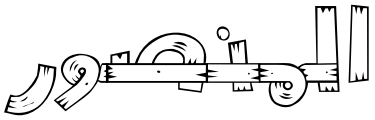

كان المنصور شديد البخل جدًّا، مر به مسلم الحادي في طريقه إلى الحج، فحدا له يومًا؛ فطرب وطابت نفسه.

ثم قال: يا ربيع أعطه نصف درهم.

فقال مسلم: نصف درهم يا أمير المؤمنين، والله لقد حدوت لهشام، فأمر لي بثلاثين ألف درهم.

فقال: تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم... يا ربيع: وَكِّلْ بِهِ من يَسْتَخْلِصُ منه هذا المال.

قال ربيع: فما زلت أمشي بينهما وأروضه حتى شَرَطَ مسلم على نفسه أن يحدو له في ذهابه وإيابه بغير مؤنة.

أشجع الناس

وقيل لبخيل: من أشجع الناس. قال: من سمع

وقع أضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته.

خمسمائة ألف درهم

قال ابن حسان:كان عندنا رجل مقل، و كان له أخ مكثر وكان مفرط البخل، شديد النفح فقال له يوماً أخوه: ويحك! أنا فقير معيل، وأنت غني خفيف الظهر، لا تعينني على الزمان، ولا تواسيني ببعض مالك، و لا تتفرج لي عن شيء! و الله ما رأيت قط ولا سمعت أبخل منك!

قال: ويحك! ليس الأمر كما تظن، ولا المال كما تحسب، ولا أنا كما تقول في البخل ولا في اليسر والله لو ملكت ألف ألف درهم، لوهبت لك خمسمائة ألف درهم. يا هؤلاء... رجل يهب في ضربة واحدة خمسمائة الف درهم يقال له بخيل!

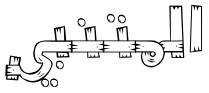

وكان المتنبي بخيلاً جداً مدحه إنسان بقصيدة، فقال له: كم أمّلت منّا على مدحك؟ قال: عشرة دنانير. قال له: والله لو ندفت قطن الأرض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دانقًا.

قصة زبيدة بن حميد

وأما زبيدة بن حميد الصيرفي، فإنه استلف من بقال كان على باب داره درهمين وقيراطاً. فلما قضاه بعد ستة أشهر، قضاه درهمين وثلاث حبات شعير.

فاغتاظ البقال، فقال: سبحان الله! أنت رب مائة ألف دينار، وأنا بقال لا أملك مائة فلس، وإنما أعيش بكدي، وباستفضال الحبة والحبتين. صاح على بابك حمال، والمال لم يحضرك، وغاب وكيلك، فنقدت عنك درهمين وأربع شعيرات.

فقضيتني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث شعيرات. فقال زبيدة: يا مجنون! أسلفتني في الصيف، فقضيتك في الشتاء. وثلاث شعيرات شتوية ندية، أرزن من أربع شعيرات يابسة صيفية. وما أشك أن معك فضلاً! وحدثني أبو الأصبغ، بن ربعي، قال: دخلت عليه بعد أن ضرب غلمانه بيوم، فقلت له: ما هذا الضرب المبرح؟ وهذا الخلق السيء؟ هؤلاء غلمان، ولهم حرمة وكفاية وتربية. وإنما هم ولد.

هؤلاء كانوا إلى غير هذا أحوج. قال: إنك لست تدري أنهم أكلوا كل جوارشن كان عندي! قال أبو الأصبغ: فخرجت إلى رئيس غلمانه، فقلت: ويلك! مالك وللجوارشن؟ وما رغبتك فيه؟ قال: جعلت فداك! ما أقدر أن أكلمك من الجوع إلا وأنا متكئ! الجوارشن! ما أصنع به؟ هو نفسه ليس يشبع، ولا نحتاج إلى الجوارشن، ونحن الذين إنما نسمع بالشبع سماعاً من أفواه الناس! ما نصنع بالجوارشن؟ واشتد على غلمانه في تصفية الماء، وفي تبريده وتزميله لأصحابه وزواره. فقال له غازي أبو مجاهد: جعلت فداك! مر بتزميل الخبز وتكثيره، فإن الطعام قبل الشراب.

وقال مرة: يا غلام، هات خوان النرد، وهو يريد تحت النرد، فقال له غازي: نحن إلى خوان الخبز أحوج.

وسكر زبيدة ليلة فكسا صديقاً له قميصاً. فلما صار القميص على النديم خاف

البدوات، وعلم أن ذلك من هفوات السكر. فمضى من ساعته إلى منزله، فجعله بركاناً لامرأته.

فلما أصبح سأل عن القميص وتفقده، فقيل له: إنك قد كسوته فلاناً. فبعث إليه، ثم أقبل عليه، فقال: ما علمت أن هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لا يجوز؟ وبعد، فإني أكره ألا يكون لي حمد، وأن يوجه الناس هذا مني السكر. فرده علي، حتى أهبه لك صاحياً عن طيب نفس؛ فإني أكره أن يذهب شيء من مالي باطلاً.

فلما رآه قد صمم، أقبل عليه فقال: يا هناه! إن الناس يمزحون ويلعبون، ولا يؤاخذون بشيء من ذلك. فرد القميص، عافاك الله! قال له الرجل: إني والله قد خفت هذا بعينه؛ فلم أضع جنبي إلى الأرض حتى جيبته لامرأتي. وقد زدت في الكمين، وحذفت المقاديم.

فإن أردت بعد هذا كله أن تأخذه فخذه. فقال: نعم آخذه، لأنه يصلح لامرأتي كما يصلح لامرأتك. قال: فإنه عند الصباغ. قال: فهاته. قال: ليس أنا أسلمته إليه. فلما علم أنه قد وقع قال: بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: جمع

السر كله في بيت عليه، فكان مفتاحه السكر.

جنازة

مشى بخيل وابنه مع جنازة وكانت امرأة تنوح وتصرخ إلى أين يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه,ولا غطاء , ولا خبز ولا ماء!؟
فقال ابن البخيل لأبيه: هل سيذهبون به إلى بيتنا؟

معقول

سئل بخيل يوما عن أيهما أكثر فائدة من الشمس.
فقيل له كيف ذلك والناس تذهب إلى أعمالها عند طلوعها وتعود عند غيابها؟
فقال: الشمس تطلع نهاراً والدنيا نور, أما القمر فأنه يبزغ ليلاً وينير الدنيا,فهو أفضل من الشمس.

مصيدة

دخل أحد البخلاء دكانا لبيع الأدوات المنزلية, وطلب شراء مصيدة للفئران عرض عليه صاحب الدكان واحدة, وبدأ يشرح له طريقة استعمالها.

فقال: هنا تضع قطعة الجبن, فيدخل الفأر المصيدة ليأكلها,وما أن يقضم جزءاً منها حتى تنطبق عليه المصيدة.

فقال البخيل على الفور: أريد مصيدة يموت فيها الفأر قبل أن يأكل الجبن!!

واعجباه

البخيل الأول: لماذا أنت حزين هكذا؟ البخيل الثاني: لأن ثمن البنزين ارتفع كثيرا!

البخيل الأول: ها، ها، لقد اشتريت سيارة إذا؟ البخيل الثاني: لا .. اشتريت ولاعة!

البرتقالة

اشترى رجل بخيل ثلاث برتقالات قطع الأولى فوجدها متعفنة فرماها ، قطع الثانية فوجدها متعفنة فرماها، فأطفأ النور وقطع الثالثة وأكلها .

سحرية

خرج بخيل وابنه في المساء لقضاء السهرة عند أحد الأصدقاء، وفي منتصف الطريق عرف الرجل أن ابنه ترك المصباح مضيئا ولم يطفئه عند مغادرة المنزل. لقال له: لقد خسرنا بإهمالك هذا درهما.. وأمره بالعودة إلى المنزل ليطفئ المصباح. وعاد الولد إلى المنزل فأطفأ المصباح، ثم رجع إلى أبيه، فابتدره أبوه قائلا: – أن خسارتنا هذه المرة، اكبر من خسارتنا في المرة السابقة، فقد أبليت من حذائك ما يساوي درهمين. فأجاب الولد قائلا: – اطمئن يا أبي .. فقد ذهبت إلى المنزل وعدت حافيا.

شعورية

زوجة البخيل: – أرجو أن تشتري لنا قدرا من العظام لنعمل حساء.
البخيل: – يا لك من مبذرة، ألم أفرجك على اللحم عند الجزار أمس.

حا حا حا

أرسل صديق لصديقه –البخيل جدا – راجيا منه مساعدته وإقراضه مبلغ خمسين جنيها لضائقة مالية شديدة يعانيها. فأجابه صديقه البخيل برسالة قائلا: صديقي العزيز، إنني فعلا أتمنى تحقيق رغبتك ومساعدتك، إلا أنني أغلقت الرسالة ونسيت وضع المبلغ المطلوب فيها!

مثال

البخيل: إني افطر وأتغذى بكسرة خبز وافترض أنني أفطرت بطبق من الفطير وتغذيت بدجاجة مخمرة!

صديقه: وبأي شيء تتعشى؟

البخيل: عجبا لك! أيشتهي العشاء من يفطر بطبق من الفطير ويتغذى بدجاجة محمرة؟

ملاحظة

قال الولد لأبيه البخيل جدا: "أبصرت في منامي أنك أعطيتني عشرة جنيهات".

فأجاب الأب: "ادخرها وإياك أن تصرفها!"

عرافة

ذهب بخيل إلى قارئ الكف وأعطاه مبلغا ضئيلا ليكشف له عن بخته، فأمسك القارئ بكفه وأطال النظر فيه، ثم قال له:
إنك لم تتزوج، ولم يتزوج أبوك كذلك ، فقال البخيل مندهشا: كيف ذلك، وابن من أكون إذن؟ قال قارئ الكف : وهل من المعقول أن تكون من بني آدم؟

نكاوة

ذهب رجل بخيل إلى أحد الأطباء ليكشف عن علته ويصف له الدواء، وكان الطبيب يتقاضى على الكشف للمرة الأولى ثلاثة جنيهات، وفي المرة الثانية جنيهين، وفي المرة الثالثة جنيها واحدا، فقال الرجل البخيل للطبيب: – لقد سبق أن عرضت نفسي عليك مرتين قبل الآن، وهذه المرة الثالثة، فأرجو آن تبحث حالتي الآن وتصف لي العلاج المناسب، وهاك جنيها أجرة الكشف، ففطن الطبيب لهذه الحيلة، فأجرى الكشف على الرجل، ثم كتب له الوصفة الآتية: يعاد استعمال الدواء السابق مرة ثالثة .

قصة ليلى الناعطية

وأما ليلى الناعطية، صاحبة الغالية من الشيعة، فإنها ما زالت ترقع قميصاً لها وتلبسه، حتى صار القميص الرقاع، وذهب القميص الأول. ورفت كساءها ولبسته، حتى صارت لا تلبس إلا الرفو، وذهب جميع الكساء. وسمعت قول الشاعر:

البس قميصك ما اهتديت لجيبه فإذا أضلك جيبه فاستبدل

فقالت: إني إذا الخرقاء! أنا والله أحوص الفتق، وأرقع الخرق وخرق الخرق!

ومضيت أنا وأبو إسحاق النظام وعمرو بن نهيوي، نريد الحديث في الجبان، ولنتناظر في شيء من الكلام. فمررنا بمجلس وليد القرشي، وكان على طريقنا. فلما رآنا تمشى معنا.

فلما جاوزنا الخندق جلسنا في فناء حائطه. وله ظل شديد السواد، بارد ناعم. وذلك لثخن الساتر، واكتناز الأجزاء، ولبعد مسقط الشمس من أصل حائطه. فطال بنا

الحديث، فجرينا في ضروب من الكلام. فما شعرنا إلا والنهار قد انتصف، ونحن في يوم قائظ.

فلما صرنا في الرجوع، ووجدت مس الشمس وقعها على الرأس، أيقنت بالبرسام. فقلت لأبي إسحاق، والوليد إلى جنبي يسمع كلامي: الباطنة منا بعيدة، وهذا يوم منكر، ونحن في ساعة تذيب كل شيء. والرأي أن نميل إلى منزل الوليد، فنقيل فيه، ونأكل ما حضر، فإنه يوم تخفيف. فإذا أبردنا تفرقنا، وإلا فهو الموت ليس دونه شيء.

قال الوليد رافعاً صوته: أما على هذا الوجه الذي أنكرته علينا – رحمك الله؟ هل ها هنا إلا الحاجة والضرورة؟ قال: إنك أخرجته مخرج الهزء. وقلت: وكيف أخرجه مخرج الهزء وحياتي في يدك، مع معرفتي بك؟ فغضب، ونتر يده من أيدينا، وفارقنا. ولا والله ما اعتذر إلينا مما ركبنا به إلى الساعة. ولم أر من يجعل الأسى حجة في المنع إلا هو، وإلا من أبي مازن إلى جبل الغمر.

وكان جبل خرج ليلاً من موضع كان فيه، فخاف الطائف، ولم يأمن المستقفي، فقال: لو دققت الباب على أبي مازن، فبت عنده في أدنى بيت، أو في دهليزه، ولم ألزمه من مؤنتي شيئاً. حتى إذا انصدع عمود الصبح، خرجت في أوائل المدلجين. فدق عليه الباب دق واثق، ودق مدل، ودق من يخاف أن يدركه الطائف،

أو يقفوه المستقفي، وفي قلبه عز الكفاية، والثقة بإسقاط المؤنة.

فلم يشك أبو مازن أنه دق صاحب هدية. فنزل سريعاً. فلما فتح الباب وبصر بجبل، بصر بملك الموت!فلما رآه جبل واجماً، لا يحير كلمة، قال له: إني خفت معرة الطائف، وعجلة المستقفي، فملت إليك لأبيت عندك. فتساكر أبو مازن، وأراه أن وجومه إنما كان بسبب السكر. فخلع جوارحه، وخبل لسانه، وقال: سكران والله، أنا والله سكران! قال له جبل: كن كيف شئت. نحن في أيام الفصل، لا شتاء ولا صيف.

ولست أحتاج إلى سطح، فأغم عيالك بالحر، ولست أحتاج إلى لحاف، فأكلفك أن تؤثرني بالدثار. وأنا كما ترى ثمل من الشراب، شبعان من الطعام. ومن منزل فلان خرجت، وهو أخصب الناس دخلاً. وإنما أريد أن تدعني أغفي في دهليزك إغفاءة واحدة، ثم أقوم في أوائل المبكرين.

قال أبو مازن، وأرخى عينيه وفكيه ولسانه، ثم قال: سكران والله! أنا سكران! لا والله ما أعقل أين أنا! والله إن أفهم ما تقول! ثم أغلق الباب في وجهه، ودخل لا

يشك أن عذره قد وضح، وأنه قد ألطف النظر، حتى وقع على هذه الحيلة! وإن وجدتم في

هذا الكتاب لحناً، أو كلاماً غير معرب، ولفظاً معدولاً عن جهته، فاعلموا أنا

إنما تركنا ذلك، لأن الإعراب يبغض هذا الباب، ويخرجه من حده. إلا أن أحكي كلاماً من كلام متعاقلي البخلاء، وأشحاء العلماء، كسهل بن هارون وأشباهه.

درهم البخيل

كان بعض

البخلاء إذا وقع الدرهم في كفه قال مخاطبا له :

أنت عقلي وديني وصلاتي وصيامي , وجامع شملي , وقرَّة عيني , وقوتي وعِمادي وعُدتي

ثمّ يقول :يا حبيب قلبي وثمرة فؤادي ,قد صرت إلى من يصونك , ويعرف

حقك , ويُعِّظم قدرك , ويشفق عليك , وكيف لايكون كذلك وبكَ تُجلب المسار, وتُدفع المضار , وتعظم الأقدار , وتعمر الديار , وتزوج البنات

:ترفع الذكر وتعلي القدر ,ثمّ يطرحه في الكيس وينشد

بنفسي محجوبٌ عن العين شَخصهُ

وليس بخالٍ من لساني ولا قلبـــي

حظّي من الناس كلّهم ومِن ذِكْره

وأولُ حظي منهُ في البُعد والُقربِ

و قيل أن أشعر بخلاء العرب أربعة

الحطيئة

فقد مر به رجل و هو بباب بيته و في يده عصا غليظة

فقال الرجل : أنا ضيف

فأشار الحطيئة إلى العصا و قال إنما أعدت هذه للضيفان

حميد الأرقط

وقد كان يهجو ضيوفه ، بل وكان فاحشاً عليهم

يقال أنه نزل به ضيوف ذات مرة

. فأطعمهم تمراً و يقال أنه أكلهم النوى

و قد هجا ضيفا نزل به مرة

ما بين لقمته الأولى التي انحدرت

و بين أخرى تليها قيــد أظفــور

أبو الأسود الدؤلي

يقال أنه تصدق مرة على مسكين بتمرة

فقال له جعل الله نصيبك في الجنة مثل هذه

و هو القائل : لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنا أسوأ حالاً منهم

خالد بن صفوان

فكان يقول للدرهم و الله لأطيلن حبسك في هذا

الصندوق ثم يضعه فيه و يحكم

الأقفال .

قصة أحمد بن خلف

ومن طياب البخلاء أحمد بن خلف اليزيدي.

ترك أبوه في منزله يوم مات ألفي ألف درهم، وستمائة ألف درهم، وأربعين ومائة ألف دينار. فاقتسمها هو وأخوه حاتم قبل دفنه. وأخذ أحمد وحده ألف ألف وثلثمائة ألف درهم، وسبعين ألف دينار، ذهباً عيناً، مثاقيل وازنة جياداً، سوى العروض.

فقلت له وقد ورث هذا المال كله: ما أبطأ بك الليلة؟ قال لا والله، إلا أني تعيشت البارحة في البيت! فقلت لأصحابنا: لولا أنه بعيد العهد بالأكل في بيته، وأن ذلك غريب منه، لما احتاج إلى هذا الاستثناء، وإلى هذه الشريطة. وأين يتعشى الناس إلا في منازلهم؟ وإنما يقول الرجل عند مثل هذه المسألة: لا والله، إلا أن فلاناً حبسني، ولا والله، إلا أن فلاناً عزم علي. فأما ما يستثنى ويشترط، فهذا ما لا يكون إلا على ما ذكرناه قبل.

وقال لي مبتدئاً مرة عن غير مشورة، وعن غير سبب جرى: انظر أن تتخذ لعيالك في الشتاء من هذه المثلثة؛ فإنها عظيمة البركة، كثيرة النزل. وهي تنوب عن الغداء.

ولها نفخة تغني عن العشاء. وكل شيء من الأحساء، فهو يغني عن طلب النبيذ وشرب الماء.

ومن تحسى الحار عرق. والعرق يبيض الجلد، ويخرج من الجوف. وهي تملأ النفس، وتمنع من التشهي. وهي أيضاً تدفئ، فتقوم لك في أجوافهم مقام فحم الكانون من خارج. وحسو طار يغني عن الوقود، وعن لبس الحشو.
والوقود يسود كل شيء ويبسه. وهو سريع في الهضم، وصاحبه معرض للحريق، ويذهب في ثمنه المال العظيم. وشر شيء فيه أن من تعوده لم يدفئه شيء

سواه.

فعليك يا أبا عثمان بالمثلثة! واعلم أنها لا تكون إلا في منازل المشيخة وأصحاب التجربة. فخذها من حكيم مجرب، ومن ناصح مشفق.

وكان لا يفارق منازل إخوانه. وإخوانه مخاصيب مناويب، أصحاب نفح وترف. وكانوا يتحفونه ويدللونه، ويفكهونه ويحكمونه. ولم يشكوا أنه سيدعوهم مرة، وأن يجعلوا بيته نزهة ونشوة. فلما طال تغافله، وطالت مدافعته، وعرضوا له بذلك فتغافل، صرحوا له. فلما امتنع قالوا: اجعلها دعوة ليس لها أخت.

فلما بلغ منه ومنهم المجهود، اتخذ لهم طعيماً خفيفاً، شهياً مليحاً، لا ثمن له ولا مؤنة فيه.

فلما أكلوا وغسلوا أيديهم، أقبل عليهم فقال: أسألكم بالله الذي لا شيء أعظم منه، أنا الساعة أيسر وأغنى، أو قبل أن تأكلوا طعامي؟ قالوا: ما نشك أنك حين كنت والطعام في ملكك، أغنى وأيسر. قال: فأنا الساعة أقرب إلى الفقر، أم تلك الساعة؟ قالوا: بل أنت الساعة أقرب إلى الفقر. قال: فمن يلومني على ترك دعوة قوم

قربوني من الفقر، وباعدوني من الغنى، وكلما دعوتهم أكثر كنت من الفقر أقرب، ومن الغنى أبعد؟ وفي قياسه هذا أن من رأيه أن يهجر كل من استسقاه شربة ماء، أو تناول من حائطه لبنة، ومن خليط دابته عوداً.

ومر بأصحاب الجداء، وذلك في زمان التوليد. فأطعمه الزمان في الرخص، وتحركت شهوته على قدر إمكانه عنده. فبعث غلاماً له يقال له ثقف؛ وهو معروف، ليشتري له جدياً. فوقف غير بعيد. فلم يلبث أن رجع الغلام يحضر، وهو يشير بيده، ويومئ برأسه: أن اذهب ولا تقف. فلم يبرح. فلما دنا منه قال: ويلك، تهزأ بي كأني مطلوب! قال: هذا أطرفه! الجدي بعشرة! أنت من ذي البابة؟ مر الآن، مرمر! فإذا غلامه يرى أن من المنكر أن يشتري جدي بعشرة دراهم! والجدي بعشرة إنما ينكر عندنا بالبصرة، لكثرة الخير، ورخص السعر. فأما في العساكر، فإن أنكر ذلك منكر، فإنما ينكره من طريق رخصه، وقلة ثمنه، لا لغير ذلك.

ولا تقولوا الآن: قد والله أساء أبو عثمان إلى صديقه، بل تناوله بالسوء حتى بدأ بنفسه. ومن كانت هذه صفته، وهذا مذهبه، فغير مأمون على جليسه. وأي الرجال المهذب؟ هذا والله الشيوع والتبوع، والبذاء وقلة الوفاء.

اعلموا أني لم ألتمس بهذه الأحاديث عنه إلا موافقته، وطلب رضاه ومحبته.

ولقد خفت أن أكون عند كثير من الناس دسيساً من قبله، وكميناً من كمائنه. وذلك أن أحب الأصحاب إله أبلغهم قولاً في إياس الناس مما قبله، وأجودهم حسماً لأسباب الطمع في ماله.

على أني إن أحسنت بجهدي، فسيجعل شكري موقوفاً. وإن جاوز كتابي هذا حدود العراق شكر، وإلا أمسك. لأن شهرته بالقبيح عند نفسه في هذا الإقليم، قد أغنته عن التنويه والتنبيه على مذهبه. وكيف وهو يرى أن سهل بن هارون وإسماعيل بن غزوان كانا من المسرفين، وأن الثوري والكندي يستوجبان الحجر.

وبلغني أنه قال: لو لم تعرفوا من كرامة الملائكة على الله إلا أنه لم يبتلهم بالنفقة، ولا بقول العيال: هات، لعرفتم حالهم ومنزلتهم.

وحدثني صاحب لي قال: دخلت على فلان بن فلان، وإذا المائدة موضوعة بعد، وإذا القوم قد أكلوا ورفعوا أيديهم. فمددت يدي لآكل، فقال: أجهز على الجرحى، ولا تتعرض للأصحاء! يقول: اعرض للدجاجة التي قد نيل منها، وللفرخ المنزوع الفخذ. فأما الصحيح فلا تتعرض له. وكذلك الرغيف الذي قد نيل منها، وللفرخ المنزوع الفخذ. فأما الصحيح فلا تتعرض له. وكذلك الرغيف الذي قد نيل منه،

وأصابه بعض المرق.

وقال لي الرجل: أكلنا عنده يوماً، وأبوه حاضر، وبني له يجيئ ويذهب. فاختلف مراراً. كل ذلك يرانا نأكل. فقال الصبي: كم تأكلون؟ لا أطعم الله بطونكم! فقال أبوه، وهو جد الصبي: ابني ورب الكعبة! وحدثني صاحب مسلحة باب الكرخ، قال: قال لي صاحب الحمام: ألا أعجبك من صالح بن عفان؟ كان يجئ كل سحر، فيدخل الحمام. فإذا غبت عن إجانة النورة مسح أرفاغه. ثم يتستر بالمئزر. ثم يقوم فيغسله في غمار الناس. ثم يجئ بعد في مثل تلك الساعة، فيطلي ساقيه وبعض فخذيه.

ثم يجلس ويتزر بالمئزر. فإذا وجد غفلة غسله. ثم يعود في مثل ذلك الوقت، فيمسح قطعة أخرى من جسده. فلا يزال يطلي في كل سحر، حتى ذهب مني بطلية.

قال: ولقد رأيته وإن في زيق سراويله نورة.

وكان لا يرى الطبخ في القدور الشامية، ولا تبريد الماء في الجرار المذارية؛ لأن

هذه ترشح، وتلك تنشف.

حدثني أبو الجهجاه النوشرواني، قال: حدثني أبو الأحوص الشاعر، قال: كنا نفطر عند الباسياني. فكان يرفع يديه قبلنا، ويستلقي على فراشه، ويقول: "إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً" .

الدهر أعرض

قيلَ لخالد بن صفوان و كان ثريا بخيلا : لمَ لا تنفق و مالك عريض ؟

فأجاب : الدهر أعرض منه !

علامة

كان محمد بن الجهم من البخلاء المشهورين، و مرة قال له اصحابه و

هم في منزله:

اننا نخشى ان نقعد عندك فوق مقدار رغبتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها و قت انصرافنا . فأجابهم : علامة

ذلك ان اقول : يا غلام ، هات الغداء!

أبن الحمامة و الحطيئة

مر رجل بالحطيئة و هو جالس بفناء بيته

. فقال : السلام عليكم

. الحطيئة : قلت ما يجب ان يقال فقال

. قال الرجل : اني خرجت من عند اهلي بغير زاد

. قال الحطيئة : لم اضمن لأهلك أطعامك

ظل بيتك ؟ قال الرجل : هل تسمح لي ان اتفيأ في

.قال الحطيئة : دونك الجبل يفيء عليك

. قال الرجل : انا ابن الحمامة

قال الحطيئة : انصرف و كن ابن اي طائر شئت .

حديث خالد بن يزيد

وهذا خالد بن يزيد مولى المهالبة. هو خالويه المكدى. وكان قد بلغ في البخل والتكدية، وفي كثرة المال، المبالغ التي لم يبلغها أحد.

وكان ينزل في شق بني تميم فلم يعرفوه. فوقف عليه ذات يوم سال، وهو في مجلس من مجالسهم. فأدخل يده في الكيس ليخرج فلساً، وفلوس البصرة كبار. فغلط بدرهم

بغلى. فلم يفطن، حتى وضعه في يد السائل. فلما فطن استرده وأعطاه الفلس. فقيل له: هذا لا نظنه يحل. وهو بهد قبيح! قال: قبيح عند من؟ إني لم أجمع هذا المال بعقولكم، فأفرقه بعقولكم! ليس هذا من مساكين الدراهم. هذا من مساكين الفلوس! والله ما أعرفه إلا بالفراسة.

قالوا: وإنك لتعرف المكدين؟ قال: وكيف لا أعرفهم! لم يبق في الأرض مخطراني، ولا مستعرض الأقفية، ولا شحاذ ولا كاغاني، ولا بانوان، ولا قرسي ولا عواء، ولا مشعب، ولا مزيدي، ولا إسطيل، إلا وقد كان تحت يدي. ولقد أكلت الزكوري ثلاثين سنة. ولم يبق في الأرض كعبي ولا مكد إلا وقد أخذت العرافة

عليه.

وإنما أراد بهذا أن يؤيسهم من ماله، حين عرف حرصهم وجشعهم وسوء جوارهم.

وكان قاصاً متكلماً، بليغاً داهياً. وكان أبو سليمان الأعور وأبو سعيد المدائني القاصان من غلمانه.

وهو الذي قال لابنه عند موته: إني قد تركت لك ما تأكله إن حفظته، وما لا تأكله إن ضيعته. ولما ورثتك من العرف الصالح، وأشهدتك من صواب التدبير، وعودتك من عيش المقتصدين، خير لك معين من هذا المال. وقد دفعت إليك آلة لحفظ المال عليك بكل حيلة. ثم إن لم يكن لك معين من نفسك، ما انتفعت بشيء من ذلك. بل يعود ذلك النهي كله إغراء لك، وذلك المنع تهجينا لطاعتك.

قد بلغت في البر منقطع التراب، وفي البحر أقصى مبلغ السفن. فلا عليك ألا ترى ذا القرنين.

ودع عنك مذاهب ابن شرية، فإنه لا يعرف إلا ظاهر الخبر. ولو رآني تميم الداري لأخذ عني صفة الروم.

ولا أنا أهدى من القطا، ومن دعيميص، ومن رافع المخش.

إني قد بت بالقفز مع الغول، وتزوجت السعلاة، وجاوبت الهاتف، ورغت عن الجن إلى الجن، واصطدت الشق، وجاوبت النسناس، وصحبني الرئي. وعرفت خدع الكاهن، وتدسيس العراف، وإلام يذهب الخطاط والعياف، وما يقول أصحاب الأكتاف. وعرفت التنجيم، والزجر، والطرق، والفكر.

إن هذا المال لم أجمعه من القصص والتكدية، ومن احتيال النهار، ومكابدة الليل. ولا يجمع مثله أبداً إلا من معاناة ركوب البحر، ومن عمل السلطان، أو من كيمياء الذهب والفضة.

قد عرفت الرأس حق معرفته، وفهمت كسر الإكسير على حقيقته.

ولولا علمي بضيق صدرك؟ ولولا أن أكون سبباً لتلف نفسك، لعلمتك الساعة الشيء الذي بلغ بقارون، وبه تبنكت خاتون.

والله ما يتسع صدرك عندي لسر صديق، فكيف ما لا يحتمله عزم، ولا يتسع له صدر؟ وحرز سر الحديث، وحبس كنوز الجواهر، أهون من خزن العلم.

ولو كنت عندي مأموناً على نفسك لأجريت الأرواح في الأجساد، وأنت تبصر ما كنت لا تفهمه بالوصف، ولا تحقه بالذكر. ولكني سألقي عليك علم الإدراك، وسبك الرخام، وصنعة الفسيفساء، وأسرار السيوف القلعية، وعقاقير السيوف اليمانية، وعمل الفرعوني، وصنعة التلطيف على وجهه، إن أقامني الله من صرعتي هذه.

ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين، ولا أثق بك وإن كنت لاحقاً بالآباء، لأني لم أبالغ في محبتك.

ني قد لابست السلاطين والمساكين، وخدمت الخلفاء والمكدين، وخالطت النساك والفتاك، وعمرت السجون، كما عمرت مجالس الذكر، وحلبت الدهر أشطره، وصادفت دهراً كثير الأعاجيب.

فلولا أني دخلت من كل باب، وجريت مع كل ريح، وعرفت السراء والضراء، حتى مثلت لي التجارب عواقب الأمور، وقربتني من غوامض التدبير، لما أمكنني جمع ما أخلفه لك، ولا حفظ ما حبسته عليك. ولم أحمد نفسي على جمعه، كما

حمدتها على حفظه، لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيس.

قد حفظته عليك من فتنة الأبناء، ومن فتنة النساء، ومن فتنة الثناء، ومن فتنة الرياء، ومن أيدي الوكلاء، فإنهم الداء العياء.

ولست أوصيك بحفظه لفضل حبي لك، ولكن لفضل بغضي للقاضي: إن الله – جل ذكره – لم يسلط القضاة على أموال الأولاد إلا عقوبة للأولاد؛ لأن أباه إن كان غنياً قادراً، أحب أن يريه غناه وقدرته، وإن كان فقيراً عاجزاً، أحب أن يستريح من شينه، ومن حمل مؤنته. وإن كان خارجاً من الحالتين، أحب أن يستريح من مداراته.

فلا هم شكروا من جمع لهم، وكفاهم ووقاهم وغرسهم، ولا هم صبروا على من أوجب الله حقه عليهم. والحق لا يوصف عاجله بالحلاوة، كما لا يوصف عاجل

الباطل بالمرارة.

فإن كنت فالقاضي لك. وإن لم تكن منهم فالله لك.

فإن سلكت سبيلي، صار مال غيرك وديعةً عندك، وصرت الحافظ على غيرك. وإن

خالفت سبيلي، صار مالك وديعةً عند غيرك، وصار غيرك الحافظ. وإنك يوم تطمع أن تضيع مالك ويحفظه غيرك، لجشع الطمع، مخذول الأمل.

احتال الآباء في حبس الأموال على أولادهم بالوقف، فاحتالت القضاة على أولادهم بالإستحجار. ما أسرعهم إلى إطلاق الحجر، وإلى إيناس الرشد، إذا أرادوا الشراء منهم! وأبطأهم عنهم، إذا أرادوا أن تكون أموالهم جائزة لصنائعهم! يا بن الخبيثة! إنك وإن كنت فوق أبناء هذا الزمان، فإن الكفاية قد مسختك، ومعرفتك بكثرة ما أخلف قد أفسدتك. وزاد في ذلك أن كنت بكرى وعجزة أمك.

أنا لو ذهب مالي لجلست قاصاً، أو طفت في الآفاق – كما كنت – مكدياً: اللحية وافرة بيضاء، والحلق جهير طل، والسمت حسن، والقبول على واقع! إن سألت عيني الدمع أجابت. والقليل من رحمة الناس خير من المال الكثير. وصرت محتالاً بالنهار، واستعملت صناعة الليل؛ أو خرجت قاطع طريق؛ أو صرت للقوم عيناً ولهم مجهراً.

سل عني صعاليك الجبل، وزواقيل الشام، وزط الآجام، ورؤس الأكراد، ومردة الأعراب، وفتاك نهر بط، ولصوص القفص! وسل عني القيقانية والقطرية.

وسل عني المتشبهة، وذباجي الجزيرة: كيف بطشي ساعة البطش، وكيف حيلتي ساعة الحيلة، وكيف أنا عند الجولة، وكيف ثبات جناني عند رؤية الطليعة، وكيف يقظتي إذا كنت ربيئة، وكيف كلامي عند السلطان إذا أخذت، وكيف صبري إذا جلدت، وكيف قلة ضجري إذا حبست، وكيف رسفاني. في القيد إذا أثقلت!

فكم من ديماس قد نقبته، وكم من مطبق قد أفضيته، وكم من سجن قد كابدته.

وأنت غلام لسانك فوق عقلك، وذكاؤك فوق حزمك. لم تعجمك الضراء، ولم تزل في السراء. والمال واسع، وذرعك ضيق. وليس شيء أخوف عليك عندي من حسن الظن بالناس؛ فإنهم شمالك على يمينك، وسمعك على بصرك. وخف عباد الله على حسب ما ترجو الله؛ فأول ما وقع في روعي أن مالي محفوظ علي، وأن النماء لازم لي، وأن الله سيحفظ عقبي من بعدي.

إني لما غلبتني يوماً شهوتي، وأخرجت يوماً درهماً لقضاء وطري، ووقعت عني على سكت وعلى اسم الله المكتوب عليه، قلت في نفسي: إني إذاً لمن الخاسرين الضالين: لئن أنا أخرجت من يدي ومن بيتي شيئاً عليه لا إله إلا الله، أخذت بدله شيئاً ليس عليه شيء! والله إن المؤمن لينزع خاتمه للأمر يريده، وعليه، حسبي الله، أو توكلت على الله، فيظن أنه قد خرج من كنف الله – جل ذكره – حتى يرد الخاتم

في موضعه! وإنما هو خاتم واحد. وأنا أريد أن أخرج في كل يوم درهماً عليه الإسلام كما هو! إن هذا لعظيم!.

ومات من ساعته. وكفنه ابنه ببعض خلقانه، وغسله بماء البئر، ودفنه من غير أن يصرخ له، أو يلحد له، ورجع.

فلما صار في المنزل، نظر إلى جرة خضراء معلقة. قال: أي شيء في هذه الجرة؟ قالوا: ليس اليوم فيها شيء. قال: فأي شيء فيها قبل اليوم؟ قالوا: سمن. قال: وما كان يصنه به؟ قالوا: كنا في الشتاء نلقي له في البرمة شيئاً من دقيق نعمله له، فكان ربما برقه بشيء من سمن. قال: تقولون ولا تفعلون! السمن أخو العسل.

وهل أفسد الناس أموالهم إلا في السمن والعسل؟ والله إني لولا أن للجرة ثمناً لما كسرتها إلا على قبره! قالوا: فخرج فوق أبيه، وما كنا نظن أن فوقه مزيداً! المخطراني الذي يأتيك في زي ناسك، ويريك أن بابك قد قور لسانه من أصله، لأنه كان مؤذناً هناك. ثم يفتح فاه، كما يصنع من تثاءب، فلا ترى له لساناً البتة! ولسانه في الحقيقة كلسان الثور! وأنا أحد من خدع بذلك. ولابد للمخطراني أن يكون معه واحد يعبر عنه، أو لوح أو قرطاس قد كتب فيه شأنه وقصته.

والكاغاني الذي يتجنن، ويتصارع، ويزبد، حتى لا يشك أنه مجنون، لا دواء له، لشدة ما ينزل بنفسه، وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل علته.

والبانوان الذي يقف على الباب، ويسل الغلق ويقول: بانوا! وتفسير ذلك بالعربية: يا مولاي! والقرسي الذي يعصب ساقه وذراعه عصباً شديداً، ويبيت على ذلك ليلة. فإذا تورم واختنق الدم، مسحه بشيء من صابون ودم الأخوين، وقطر عليه شيئاً من سمن، وأطبق عليه خرقة، وكشف بعضه. فلا يشك من رآه أن به الإكلة، أو بلية شبه الإكلة.

والمشعب الذي يحتال للصبي حين يولد: بأن يعميه، أو يجعله أعسم، أو أعضد؛ ليسأل الناس به أهله. وربما جاءت به أمه وأبوه، ليتولى ذلك منه بالغرم الثقيل.لأنه يصير حينئذ عقدة وغلة: فإما أن يكتسبا به، وإما أن يكرياه بكراء معلوم. وربما أكروا أولادهم ممن يمضي إلى إفريقية، فيسأل بهم الطريق أجمع، بالمال العظيم.

فإن كان ثقة مليئاً، وإلا أقام بالأولاد والأجرة كفيلاً.

والعواء الذي يسأل بين المغرب والعشاء. وربما طرب، إن كان له صوت حسن، وحلق شجي.

والإسطيل هو المتعامي: إن شاء أراك أنه منخسف العينين، وإن شاء أراك أن بهما ماء، وإن شاء أراك أنه لا يبصر، للخسف، ولريح السبل.

والمزيدي الذي يعارضك، وهو ذو هيئة، وفي ثياب صالحة. وكأنه قد هاب من الحياء، ويخاف أن يراه معرفة! ثم يعترضك اعتراضاً، ويكلمك خفياً.

والمعدس الذي يقف على الميت يسأل في كفنه، ويقف في طريق مكة على الحمار الميت، والبعير الميت، يدعى أنه كان له، ويزعم أنه قد أحصر؛ وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والإفريقية، وتعرف تلك المدن والسكك والرجال. وهو متى شاء كان من إفريقية، ومتى شاء كان من أهل فرغانة، ومتى شاء كان من أي مخاليف اليمن شاء! والمكدى صاحب الكداء.

والكعبي أضيف إلى أبي كعب الموصلي، وكان عريفهم بعد خالويه سنة على ماء.

والزكوري هو خبز الصدقة، كان على سجني أو على سائل.
هذا تفسير ما ذكر خالويه فقط. وهم أضعاف ما ذكرنا في العدد. ولم يكن يجوز أن نتكلف شيئاً ليس من الكتاب في شيء.

رفع يحيى بن عبد الله بن خالد بن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد رغيفاً من خوانه بيده، ثم رطله والقوم يأكلون. ثم قال: يزعمون أن خبزي صغار. أي ابن...يأكل من هذا الخبز رغيفين؟ وكنت أنا وأبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام، وقطرب النحوي، وأبو الفتح مؤدب منصور ابن زياد، على خوان فلان بن فلان. والخوان من جزعة.

والغضار صيني ملمع، أو خلنجية كيماكية. والألوان طيبة شهية، وغذية قدية. وكل رغيف في بياض الفضة، كأنه البدر، وكأنه مرآة مجلوة. ولكنه على قدر عدد الرءوس.

فأكل كل إنسان رغيفه إلا كسرة. ولم يشبعوا فيرفعوا أيديهم. ولم يغدوا بشيء فيتموا أكلهم. والأيدي معلقة. وإنما هم في تنقير وتنتيف! فلما طال ذلك عليهم، أقبل الرجل على أبي الفتح، وتحت القصعة رقاقة، فقال: يا أبا الفتح، خذ ذلك الرغيف فقطعه وقسمه على أصحابنا. فتغافل أبو الفتح. فلما أعاد عليه القول

الرابعة قال: مالك – ويلك! – لا تقطعه بينهم؟ قطع الله أوصالك! قال: يبتلي على يدي غيري، أصلحك الله! فخجلناه مرة، وضحكنا مرة، وما ضحكنا صاحبنا ولا خجل.

وزرته أنا والمكي. وكنت أنا على حمار مكار، والمكي على حمار مستعار. فصار الحمار إلى أسوأ، من حال المذود! فكلم المكي غلمانه، فقال: لا أريد منكم التبن فما فوقه. اسقوه ماء فقط. فسقوه ماء بئر، فلم يشربه الحمار، وقد مات عطشاً.

فأقبل المكي عليه فقال: أصلحك الله! إنهم يسقون حماري ماء بئر، ومنزل صاحب الحمار على شارع دجلة، فهو لا يعرف إلا العذب. قال: فامزجوه له يا غلام! فمزجوه فلم يشربه. فأعاد المسألة، فأمكنه من أذن من لا يسمع إلا ما يشتهي.

وقال لي مرة: يا أخي، إن ناساً من الناس يغمسون اللقمة إلى أصبارها في المري.

فأقول: هؤلاء قوم يحبون الملوحة، ولا يحبون الحامض! فما ألبث أن أرى أحدهم يأخذ حرف الجردقة، فيغمسها في الخل الحاذق، ويغرقها فيه! وربما رأيت

أحدهم يمسكها في الخل بعد التغريق ساعة، فأقول: هؤلاء قوم يجمعون حب الحموضة إلى حب الملوحة. ثم لا ألبث أنة أراهم يصنعون مثل ذلك بالخردل، والخردل لا يرام! قل لي: أي شيء طبائع هؤلاء؟ وأي ضرب هم؟ وما دواؤهم؟ وأي شيء علاجهم؟ فلما رأيت مذهبه وحمقه، وغلبة البخل عليه، وقهره له، قلت: ما لهم عندي علاج هو أنجع فيهم من أن يمنعوا الصباغ كله! لا والله، إن هو غيره! وصديق كنا قد ابتلينا بمؤاكلته. وقد كان ظن أنا قد عرفناه بالبخل على الطعام. وهجس ذلك في نفسه، وتوهم أنا قد تذاكرناه أمره. فكان يتزيد في تكثير الطعام، وفي إظهار الحرص على أن يؤكل. حتى قال: من رفع يده قبل القوم غرمناه ديناراً. فترى بغضه إن غرمناه ديناراً. وظاهر لا ئمته محتمل في رضا قلبه، وما يرجو من نفع ذلك له.

ولقد خبرني خباز لبعض أصحابنا، أنه جلده على إنضاج الخبز، وأنه قال له: أنضج خبزي الذي يوضع بين يدي، واجعل خبز من يأكل معي على مقدار بين المقدارين.

وأما خبز العيال والضيف فلا تقربنه من النار إلا بقدر ما يصير العجين رغيفاً، وبقدر ما يتماسك فقط! فكلفه العويص. فلما أعجزه ذلك، جلده حد الزاني الحر! فحدثت بهذا الحديث عبد الله العروضي، فقال: ألم تعرف شأن الجدي؟ ضرب الشواء ثمانين سوطاً لمكان الإنضاج! وذلك أنه قال له: ضع الجدي في التنور حين تضع الخوان، حتى أستبطئك أنا في إنضاجه. وتقول أنت: بقي قليل! ثم

تجيئنا به، وكأني قد أعجلتك! فإذا وضع بين أيديهم غير منضج، احتسبت عليهم بإحضار الجدي.

فإذا لم يأكلوه أعدته إلى التنور، ثم أحضرتناه الغد بارداً. فيقوم الجدي الواحد مقام جديين! فجاء به الشواء يوماً نضيجاً، فعمل فيه القوم. فجلده ثمانين جلدة، جلد القاذف الحر! وحدثني أحمد بن المثنى عن صديق لي وله، ضخم البدن، كثير العلم، فاشي الغلة، عظيم الولايات، أنه إذا دعا على مائدته بفضل دجاجة، أو بفضل رقاق، أو غير ذلك، رد الخادم مع الخباز إلى القهرمان، حتى يصك له بذلك إلى صاحب المطبخ! ولقد رأيته مرة وقد تناول دجاجة، فشقها نصفين، فألقى نصفها إلى الذي عن يمينه، ونصفها إلى الذي عن شماله. ثم قال: يا غلام! جئني بواحدة رخصة، فإن هذه كانت عضلة جداً. فحسبت أن أقل ما عند الرجلين ألا يعودا إلى مائدته أبداً.

فوجدتهما قد فخرا علي بما حباهما به من ذلك دوني!

وكانوا ربما خصوه، فوضعوه بين يديه الدراجة السمينة، والدجاجة الرخصة. فانطفأت الشمعة في ليلة من تلك الليالي. فأغار على الأسواري على بعض ما بين يديه، واغتنم الظلمة. وعمل على أن الليل أخفى للويل! ففطن له، وما هو بالفطن إلا في هذا الباب. وقال: كذلك الملوك كانت لا

تأكل مع السوقة! وحثني أحمد بن المثنى أنهم كانوا يعمدون إلى الجرادق التي ترفع عن مائدته: فما كان منها ملطخاً، دلك دلكاً شديداً، وما كان منها قد ذهب جانب منه، قطع بسكين من ترابيع الرغيف مثل ذلك، لئلا يشك من رآه أنهم قد تعمدوا ذلك. وما كان من الأنصاف والأرباع جعل بعضه للثريد، وقطع بعضه كالأصابع، وجعل مع بعض القلايا. ولقد رأيت رجلاً ضخماً، فخم اللفظ، فخم المعاني، تربية في ظل ملك؛ مع علوهم، ولسان عضب، ومعرفة بالغامض من العيوب، والدقيق من المحاسن؛ مع شدة تسرع إلى أعراض الناس، وضيق صدر بما تعرف من عيوبهم.

وإن ثريدته لبلقاء، إلا أن بياضها ناصع، ولونها الآخر أصهب! ما رأيت ذلك مرة ولا مرتين.

وكنت قد هممت قبل ذلك لأن أعاتبه على الشيء يستأثر به، ويختص به، وأن أحتمل ثقل تلك النصيحة وبشاعتها، في حظه وفي النظر له. ورأيت أن ذلك لا يكون إلا من حاق الإخلاص، ومن فرط الإخاء من الإخوان. فلما رأيت البلقة هان علي التحجيل والغرة. ورأيت أن ترك الكلام أفضل، وأن الموعظةلغو.

وقد زعم أبو الحسن المدائني أن ثريدة مالك بن المنذر كانت بلقاء. ولعل ذلك أن يكون باطلاً. وأما أنا فقد رأيت بعيني من هذا الرجل ما لا أخبرك به، وهو شيء لم أره إلا فيه، ولا سمعت به في غيره. ولسنا من تسمية الأصحاب المتهتكين، ولا غيرهم من المستورين في شيء. أما الصاحب فإنا لا نسميه لحرمته، وواجب حقه. والآخر لا نسميه ليستر الله عليه، ولما يجب لمن كان في مثل حاله. وإنما نسمي من خرج

من هاتين الحالتين. ولربما سمينا الصاحب إذا كان ممن يمازج بهذا، ورأيناه يتظرف، ويحمل ذلك الظرف سلماً إلى منع شينه.

قصة أبي جعفر

ولم أر مثل أبي جعفر الطرسوسي: زار قوماً فأكرموه وطيبوه، وجعلوا في شاربه وسبلته غالية. فحكته شفته العليا، فأدخل إصبعه فحكها من باطن الشفة، مخافة أن تأخذ إصبعه من الغالية شيئاً، إذا حكها من فوق! وهذا وشبهه إنما يطيب جداً إذا رأيت الحكاية بعينك، لأن الكتاب لا يصور لك كل شيء، ولا يأتي لك على كنهه، وعلى حدوده وحقائقه.

أسنان المشط

كان أحد البخلاء متضايقاً وحزيناً ، فسأله زميله : ما بك ؟
فقال البخيل : لقد انكسرت سنة من أسنان مشطي .وأنا أريد تسريح شعري.
الزميل : ألا يمكنك استخدام المشط دون هذه السنة ؟
البخيل : لا ... لأنها كانت السنة الأخيرة!!!

قصة الشيخ الخراساني

كان يأكل في بعض المواضع إذ مر به رجل فسلم عليه فرد الشيخ السلام ثم قال: هلم عافاك الله.

فتوجه الرجل نحوه فلما رآه الشيخ مقبلاً قال له : مكانك ... فإن العجلة من عمل الشيطان.

فوقف الرجل، فقال له الخرساني: ماذا تريد؟

قال الرجل: أريد أن أتغذى.

قال الشيخ: ولم ذاك ؟ وكيف طمعت في هذا ؟ ومن أباح لك مالي؟

قال الرجل: أوليس قد دعوتني ؟

قال الشيخ: ويحك، لو ظننت أنك هكذا أحمق ما رددت عليك السلام.

الأمر هو أن أقول أنا: هلم فتجيب أنت: هنيئاً فيكون كلام بكلام . فأما كلام بفعال وقول بأكل فهذا ليس من الإنصاف

ستجدون بغية الكتاب ، والمزيد من الكتب

على الموقع التالي

للمزيد من الكتب يرجى زيارتنا على هذا المنتدى

montadaali.ahlamontada.com

مع تحياتي : علي مولا

أو محرك البحث جوجل ..أكتب

منتدى الكتب العربية والمعربة

- ينبع في الاجزاء المتبقية من الكتاب
- نوادر الشعب ،والطفيليين
- نوادر الاعراب ، ونوادر جحا

نوادر الحمقى والمغفلين ، وطرف ونوادر اخرى